

(١٠)

الإِنسان عابِدٌ بِمخلِقه لمعبودِه بِمحقِه لِقائمِه بالعابِد والمعبود

في الحق الموجود

هو بِمخلِقه عابِدٌ سبقه مبعوثًا به في الوجود

هو في الإِطلاق أحدٌ لأحدٍ بين آحاد للشهود

حديث الجمعة

٥ شعبان ١٣٨٦ هـ - ١٨ نوفمبر ١٩٦٦ م

(اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا أو أن أغشى فجورا، أو أن أكون بك مغرورا)١.

إنها إرادتك، لا تُشارك، ولا تُخالف، وإنها حكمتك لا تزل، ولا تخل، ولا تخطيء، إنك الهادي، وإنك الفاتن، إنك المعلم، وإنك المُختبر.

الباطل حق فيك، والحق في غير أهله باطل، لا إليك، إلا منك، ولا منك إلا إليك، لا موجود سواك، عرفناك أو جهلناك، قبلناك أو أنكرناك، أطعناك أو جحدناك.

أنت بعد الإنسان وقبله، وأنت أمام الإنسان وخلفه، وأنت قائمُ الإنسان وفوقه، وأنت ربُّ الإنسان وعبده، وأنت صانع الإنسان وصنعه.

أنت فوق الإنسان وتحتة، أنت محيطٌ بالإنسان وقلبه. وأنت قائمُ الإنسان وباطنه، وقائمُ الإنسان وقادمه، قائمٌ على كل نفس، بما كسبت. كل من عليها فان بما منها، باق بما منك، ويبقى وجهك.

الله من ورائكم محيط، والله أينما تولوا فثم وجهه ليس كمثل شيء، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد. إنه الحياة جوهرًا ومظهرًا، لا تحيطون بشيء من علمه، وهو يُظهرُكم على الدين كله فتحيطون بالعلم عنكم، إحاطة بالعلم عنه، ما ظهر في شيء مثل ظهوره بكم.

لا إله إلا الله جعلها حصنا لكم تدخلونه، والله أكبر جعلها غاية لكم ترجونها، بالإنسان له أحد لمعناه وذاته، جعلكم به آحادا فيه، أنتم حقائقه لمعانيكم وذواتكم، أعلام وجوده، وأسماء مشهوده، ولفظ جلالته، وكرم وجوده، وإكرام موجوده، هو لكم وأنتم له، في إطلاقه وتقييده وتنزيهه، في باطنه وظاهره.

إن العابد والمعبود فيه، إنما هو الإنسان، للإنسان والإنسان مع الإنسان.. إن الرب والعبد فيه، إنما هما الإنسان للإنسان. إن المطلق والمقيد فيه، والمطلق والمقيد له، إنما هو الإنسان، للإنسان.. إن الذي يصح أن يكون معبودا، إنما هو الإنسان، والذي يصح أن يكون عابدا إنما هو الإنسان. إن الإنسان، هو محل التمكن، لأمره، ليكون معبودا من نفسه بفضله، وعابداً لنفسه بافتقاره.. إن الله، في حقيقته، يستحيل عليه أن يكون معبودا، كما يستحيل عليه أن يكون عابدا، إنما هذه هي صفات الإنسان فيه..

{قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أياً ما تدعوا، فله الأسماء الحسنى}²، ليكون هناك، من يُسمى عابداً، ومن يسمى معبوداً، لا بد أن يكون هناك انعقاد نسبة بين العابد والمعبود، لا بد أن يكون في المعبود قابلية أن يكون معبوداً، ولا بد أن يكون في العابد قابلية أن يكون عابداً، أما الله المطلق اللانهائي، فهو غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، ولو كان معبوداً مستقلاً عن العابد لكان للعابد مفتقراً ولكان في ذاته ومعناه ناقصاً ليس به كفايته.

إن الغني عن العالمين، يقول للعالمين، (كن أنت كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)³. إن الذي تَوَاجَدَ الإنسان، لنفسه، قال للإنسان {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}⁴، {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}⁵، {إن الله لغني عن العالمين}⁶ {والله خلقكم وما تعملون}⁷.

إن الله، بروحه لكم، وبروحه فيكم، من روجه عليكم، لروحه منكم، أودع فيكم، أرواحاً، سِرِّ معانيه، وقائم آلائه بعلبيكم لكم، وبعليكم منكم، كنتم به الأعلى والأدنى والأوسط.

فكنتم الأمر الأعلى، وكنتم الأمر الأدنى، وكنتم الأمر الوسط، ففي حالكم بأمركم من الأمر الوسط، عرفتموكم عين الأعلى والأدنى في الله ذي المعارج، في وضعكم لمعاني العبد، للأعلى عليكم والرب للأدنى لقائم الرب لكم باختياركم لأنفسكم معلومة برسوله إليكم عندكم أمراً وسطاً بينكم لا تفرقة بينهما ولا فرق بينكم وبينه.

فلا فرق بين الخالق والخلق في الحق، ولا فرق بين المعبود والعابد في الحق، فهما وجوه الحق وجه لوجه، وهم جماع الحق، فإن عرفت لك أعلى، لموصوف الرب عليك في نفسك وقائم نفسك، فإنك سوف لا تطغى ولا تفتن ولا تزل بك القدم، يوم تعرف لك أدنى أنت بموصوف الرب عليه.

يومئذ تعامله، بما عاملك به الأعلى، وتدرك هدي من هداك، وإلى ربك فيك وجهك ودعاك، وإلى الله، لمعيتك علمك وأوصاك وقد قال لك، (تخلقوا بأخلاق الله)^٨.

ومن ذا الذي يتخلق بأخلاق الله، ولم يعرف خلق الله، ولم يقم الله عليه بخلق معلومة له، ليقوم بمثلها على أدنى منه بها معه يتخلق؟ هل كان الرسول عابثا، وهو يقول (تخلقوا بأخلاق الله)، وهل عرفنا لنا، متخلقا بأخلاق الله غيره؟

فهل رأينا، فيه، له معنا وجه الله؟ هل رأينا، به، منه، إينا، وجهها لله! هل أدركنا أنه قبس نور الله، لوجه الله، ناضرة؟ أو وجوهه إلى ربه تشهد به وجهها لله ناظرة! الله من ورائها بإحاطته بقبضة نوره، لحقه ورسوله بالمؤمنين بالله ورسوله ظاهر دانيه، وطلعت لمن يقاربه ويلاقيه.

هل عرفنا فيه، الحق ومعانيه، والرب ومغانيه؟ هل شهدنا الله ومعارجه منه، إليه، فيه، حقية العبد لعين الحق بالرب، في الله ذي المعارج؟

بماذا عرفنا رسول الله؟! وبماذا وصفنا رسول الله؟ وبماذا اتصفنا رسول الله.. فلاأنفسنا ظهرناه.. ولمعانينا كسبناه، وللناس في غفلة عنه قدمناه؟ بماذا قناه! وبماذا اتصفناه! فكا أمة رسول الله، أمة الحياة، أمة الحق لله، أمة الحق من الله، أمة رسالات الله، أمة رسل الله.

أمة أم الكتاب لله، أمة الكتب ناطقة مشهورة بالبيان من الله، أمة تمسك بأقلام قدرة الله، وتكتب صحائف كتب الله بالناس، أمة تؤمن بالله، وبوحدانية الله، وبالقلوب لله، وبالقولاب عباد الله.

أمة تجمع شتات الله، بتآلف قلوبها، وتنظيم موجود الله، بتنسيق قولها بيوتا لذكر الله، بنيانا مرصوفا لوجود كلمات الله، لبنات يشهد بعضها بعضا بالله قترتفع أسوارا وتعلوا جدارا، وتتلاقى زواياها غرفا، وتتراص غرفها، لتقوم بيوتا، وتتلاصق صروحا، لتقوم مدنا، وتتعدد مدائن، لتقوم عوالم، بالحق فيها يقوم، عن التجزؤ، منزها، حقا قائما، في الوحدانية والتوحد، بروح الله، سارية، في مبانيه، قبل معانيه متواجدة.

{لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد}، فلا أقسم بوالد وما ولد، وأنت حل.. بوالد وما ولد.. أنت العلم، على من لم يلد ولم يولد، أنت الأحد، علما على من هو أحد، أعلمته آحاده، وعرفه عباده.

فظهروا كتباً ناطقة قاموا في الناس رشاده ووداده، وكشفوا للناس أنه هو بهم عناده ورشاده، {ولو شاء ربك ما فعلوه} ١٠، {لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً} ١١، {فلا تكن من الممترين} ١٢، وهو لذلك خلقهم، وما اختلفوا، إلا بعد الذي جاءهم من العلم، وما علموا فعلموا، إلا ليتحدثوا ليزدادوا، إلا ليتعارفوا فيتوادوا ويتحابوا، من فرقة يجتمعون، وعلى واحد يفترون، رضي عنهم، ما اجتمعوا عليه، وما افتروا عليه، ما صدقوا في اجتماعهم، وما صدقوا في افتراقهم.

{ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة، كأنه ولي حميم} ١٣، {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} ١٤، إن ما عندهم حسن، فلا أنفسم لا تفوتوه، وإن ما عندكم أحسن فلا تهجروه، وأمركم لا تفرطوه. استمعوا لرسالات الله ولا تفرقوا بين رسله ولا بينه وبينهم، ولا تفرقوا بينكم وبين الله ورسوله.

إن الذي كان رحمة للعالمين، مهداة، وعطية مقدمة من الله، كان من بينكم، وكنتم منه على ما كان منكم، إن النسبة منعقدة بينكم وبينه، لا تفرقوا بين الله ورسوله، ولا تفرقوا بين الرسول، وبين أهل الإيمان بالله ورسوله.

إن الرسول لا يفترق ولا يفصل عن الله، وإن المؤمنين بالله معه، حقاً إليهم، لا يفترون معه عنه، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ١٥.

إنه حياتهم فيهم.. إنه مماتهم فيه وبعثهم به.. إنه حقهم.. إنه اسم الله عندهم ولهم، به لا يغيبون الله ولكن يغيبونهم، ولا يحدونه ولكن يحدونهم. ويؤمنون بالله له، ولأنفسهم.

عرفوهم لله، ما عرفوهم له، وتواجدوهم لله ما تواجدوهم به، شهدوا له في أنفسهم بلا إله إلا الله أنه محمد رسول الله.

آمنوا، بالأعلى له، قائم الأعلى عليهم، وعرفوه في الأعلى الرفيق الأعلى لهم، ما تناولوا عليه معلماً، ولا امتطوه أباً، وإن كان قد أركبهم، وعلى ظهره أصعدهم، وحتى ينزلوا أمهلهم.

ألم يفعل ذلك أمامهم وبينهم مع ولده الحسن، يقول كرهت أن أرفع حتى ينزل، تاركاً له حرته، في إرادته، سعيداً أن يمتطيه، سعيداً أن يسري بامتطيه ظاهر مطية له، إلى من أبدعه له، إلى من خلقه لنفسه.

ولدي هذا سيد، لمن أراد أن يكون له في الله سيد، (اقبلوا نيري فإن نيري عليكم لطيف) ١٦، لست سيدي، على مثال مما تُسودون عليكم، من طغاة وظلمة، ولكني السيد الخادم إني المولى الموالي، إن السيد الذي هو مولى، هو من يصح أن يوصف بأنه سيد ومولي، سيد القوم خادمهم.

إن الرب منعقدة النسبة بينه وبين العبد، أبا، ومعلما وحاكما، راعيا، وأميرا صالحا، ورائدا، قيما، وإماما سالكا وطريقا، مهذا ممهدا، ونورا، ساطعا مشرقا، ساريا خالقا بيوته القلوب، وعوالمه القوالب، وحقه العقل، وعبده النفس ووجوده وكونه الذات.

إن أردت ذلك، وصدقت بذلك، وآمنت أن الرسول كان كذلك، وأنه تكاثر في الناس بذلك، كان لك من الله ورسوله ذلك، فهو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين بذلك، رحمة الله لئلا يهلك، وعطاء الله للمالك، وتكليف الله، لكل ملك، كان له من الله ممالك، فكان بالله هو لها المالك.

{وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا} ^{١٧}، {مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير} ^{١٨}، تعز من تشاء بعزتك، على الملوك والممالك، تجعله لها مالك، وتذل من تشاء، بنعمتك، باصطفائه لعبوديتك واختياره لقربك في حضرتك... .

على ما جعلته لإنسان طلعتك، ويد نجدتك، وقدم سعيك وحضرة قربك، من عرف، وشرف بما عرف، وما استعلى بما به عرف، فأراد أن يكون الرجل الثاني في إنسانية إنسانك واعتذر عن أن يكون الرجل الأول، مادام في رضوانك فسألك، (أحيني مسكينا وأمّتي مسكينا، واحشرنني في زمرة المساكين) ^{١٩}.

وإن كان الله، قد جعل منه صورته، خلقها ليتجلى بها وفي حجاب العبد بعثا وللناس أرسلها، وبعثا بالمقام المحمود لها وعدّها بالمؤمنين في المؤمنين زفّها وليوم الفصل في أمر الناس لهم أنذرها وحذرهما. فبه أشرفت الأرض بنور ربها، ويوم القيامة، يكفرون بشركه، ويعرفون أنه كان بالحق للحق أحده، مولودا مما ولده، ووالدا بما توالده بموصوف خلق أوجده، وبوجوده عدده، ثم وضع عنه وزره فوحده، ثم أعاده فجده، وبالحق أظهره مبعوثا أوجده، ووجهها له أشهده لمن شهده، فوجودا بالحق في المؤمنين تواجدّه، فعرف به المؤمن الحق لنفسه ما بحده.

كان للأعلى ظلا ومن نوره قبسا، ورضي قانعا أن يكون للأعلى عبدا وعلى العبودية حرص وبها ظهر وافتخر وبغيرها لم يظهر ولم يفخر، فما استعلى أن يكون للأدنى ربا، ورضي لأن يكون مع المربوب خلاّ وجبا، على ما كان الأعلى له، خليلا وحبيبا، فما قصر فيما بلغ، وما أخفى شيئا مما به كلف، وأمر أن يبلغ بما حمل وإلينا بلغ، ولا زال يحمل ويبّلع في كل أمة، وبكل لسان.

أعطي كتابا.. لم يكن لنفسه غيرها.. فكان لمعناه كتابه وحجابه.. كتابه ونوره.. كتابه وسكينته.. كتاب ليله ونهاره لظلامه ونوره لنفسه بهما... {إن لك في النهار سبحا طويلا} ^{٢٠}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{٢١}، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا} ^{٢٢}، طأها، {ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقي، إلا تذكرة لمن يخشى} ٢٣، {فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشتى} ٢٤، فلا تجهد نفسك باخعها ملاحقا، إنه إليك سوف يعود حتما فيلقاك مع من بك آمن ووجها لربك بعث. اصبر نفسك الآن مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

اصبر نفسك كلما تجددت بينهم نفسك، أما نورك لعقلك فأسر به فيهم فبه يراهم ربك فهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. أسر بالنور الذي أنزلنا معك في المؤمنين فأنحر فيهم الظلام، وأسكت اللغو، وأحي الإنسان، وأنطق الحيوان، وأسمع البنيان، {أبصر به وأسمع} ٢٥.

فأنت للناس البصر والسمع، إن أبصرتهم يبصرون، وإن أسمعتهم يسمعون، ولن يسمع الله لهم حتى ينطقون، ولن ينظر الله إليهم، حتى إليك ينتسبون وبك لربك يقنعون فبك وجوها له يبعثون هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٢٦.

فهو ما رأى إلا إياك ولا يرى إلا معنك، فمن شهده لك، شهده الله، ومن عرفه لك، عرفه الله، ومن أنكره لك، تناساه الله، {أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} ٢٧، {رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيرا} ٢٨. لقد اخترت لنفسك العمى.. فقد أعطيناك البصر والبصيرة فعطلتهما، فإني نفسك عرفته، ولا من حولك شهدته، فأخذت أمانتي وقد خلقتك من قبل لنفسك، فأردت أن تكون لنفسك، فكن على ما أردت، وقد أردت أن تكون على ما أنت.

{وما ظلمونا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} ٢٩، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل، فإنما يضل عليها} ٣٠، وإن كل نفس لا تجزى إلا بما تسعى، من كسبها، بعملها، بأمانة الحياة لها، {عطاء غير مجذوذ} ٣١، {إنما هي أعمالكم ترد إليكم} ٣٢، فأمانة الحياة هي أسماء الله، تستبقها، فترضيها، أو تعاديها، فتعزها إلى ما أرادت هي لمعانيها.

الذين كفروا بمعية الله لهم أعمالهم كسراب بقية، يحسبه الظمان ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده. إن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، إن الذي كفر بالله، في هذا المثل يضرب، ما كان العاصي، فالعاصي يعرف أنه عاصي، ويعرف أن الله غفور رحيم، ويوم يستغفر الله، يغفر الله له.

{رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورثت عزا واستجارا} ٣٣، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا} ٣٤.

بشر ولا تنفر، يسر ولا تعسر، لا تقنط الله بالناس من رحمة الله بينهم وفيهم، لا تقنط عباد الله من ربوبيتهم، من معانيهم، من أبيهم، من ربهم، من معلمهم، من ملكهم، من سيدهم، من خادمهم من قائم الحياة بهم.

إن رحمة الله قريب من المحسنين من أنفسهم وإلى أنفسهم. إن رحمة الله بعيد، عن الطاغين بأنفسهم على معانيمهم، وعلى الناس، إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

وحدوا الله، يتوحد الله، يوم تجتمع قلوبكم، على قلب منكم، ويوم تلتف قلوبكم، حول نصب لقلب بينكم في الله وفي مرضاة الله، وفي إعلاء كلمة الله.

بهذا جعلت مناسك الإسلام، بيانا له، وتحقيقا لذلك فيه، سواء بالصلاة، أو بالحج، أو بالزكاة، أو بالصدقات، أو بالإيثار أو بالإينكار على النفس، أو بالإيثار عليها.

هذا ما تهدينا إليه لا إله إلا الله، فنقومنا بها أسماء الله، وكلمات الله، ووجوه الله، وروح الله، وحقائق الله، ورسول الله، وعباد الله، أمة وسطا، تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف لها، وهو الله لقيامها، ولقيام مثلها من قبلها، ولقيام عينها ممن بعدها، في عين قائمها لها.

أمة لا تجحد الله ولا تغيبه.. لا تنكره ولا تعدده.. تطيعه لا تعانده.. وترتضيه لموجود وجودها، لا راغبة عنه ولكن مزدادة في الرغبة إليه والرغبة فيه.. مؤمنة بقائم رحمته في الرغبة منه.. على ما علمها حقه ورسوله.. وجهه وطلعته.. كتابه وشرعته.. طريقه وملته.. دينه وفطرته..

هو من عرفناه وما عرفناه، ومن ذكرناه لفظا، لا وجود له في موجود لنا، ولا وجود بنا، وكذلك فعلنا مع ربه، فذكرنا الله لفظا، وما أدركناه معنى، وما حققناه لنا قياما، وما هيأنا أنفسنا له، لنكون منه كتابا وكلاما.

هذا ما جاءنا به دين الفطرة بالفطرة ولدناه فهل بعلم دخلناه؟ هل بعمل تذاكرناه؟ هل برحمة توأصيناها؟ هل بمعرفة تجادلناه؟ هل بجهد تخاصمناه؟ هل فعلنا ولم يهدنا الله؟ هل قننا ولم يعلمنا الله؟ إنه كان عندنا مجرد كلام، لا هو بسلام مع الله، ولا هو بخصام على الله، ولا هو بقيام بالله.

ومع ذلك، فنحن على ما وجدنا عليه آباءنا، من دين، ومن ملة، نحن المسلمون والإسلام بجوهره ومخبره ومظهره منا برئ، فهو لا يعرف هذا الكلام، وإن عرفه، فترة من الزمان، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض} ٣٥، فليستيقظ الإنسان إلى ما في هذا الدين من الإحسان.

{وإن أحدا من المشركين استجارك فأجره، حتى يسمع كلام الله} ٣٦، إن عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا يجيرون الجهلاء، ولا يمتنعون عن النداء، ولا ييأسون من الرجاء، إذا خاطبهم الجهلاء، خاطبهم على قدر عقولهم، وقالوا مقالة لا تهز السلم والسلام بينهم وبينهم، قالوا سلاما، لم يثيروا بينهم، وبين الجاهلين خصاما، حتى يسمعوا كلام الله.

هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ٣٧. فكم منا شعر بافتقاره إلى الخبير!

(المرء على دين خليله) ٣٨، فكم منا شعر بعوزه إلى الخليل؟ ومن منا قدّر معنى الدليل؟ (فلينظر أيكم من يخال) ٣٩، أو نظن أننا نقوم في خلة، لوجه الله يبقى؟ وفي طريق الله نجاهد؟ ويتركنا الله، نعبد على حرف؟ قائمين على جرف؟ أم أنه يخرج بنا من الظن إلى اليقين؟ وهو الذي يقول لنا {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} ٤٠.

إن اليقين آتيك، يوم تتواصى بالحق، وتتواصى بالصبر لن يفوتك أبداً، ما وفيت تعاليم الدين، وما أحسنت اختيار الرفيق واختيار الصديق، وما أحسنت الظن بربك ورسول ربك، بعدم غيبة الطريق يوافيك في قائمك بقيام في دنياك، أو عند مفارقتها إلى قيام للقيام، طريقاً ممهداً، في قيام، بعباد الله سجداً، جعلهم القيمة، بقيوم رسول الله لقاءهم.

التابعون وتابع التابعين بإحسان؟! بالسنتهم يذكرون وفي دوام يرددون، ببغاوات ينطقون، أين هم هؤلاء التابعون؟ ومن يكون هؤلاء التابعون؟ ومن هم من تابعهم بإحسان إلى يوم الدين؟ وما هو هذا الإحسان؟ ومتى هو هذا اليوم؟ وأين هم هؤلاء المحسنون؟ إنهم عن الأرض لا ينقطعون، وعن جمعكم على الله لا يعجزون، فهم الممكّنون المُشَفِّعون، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وهم المأذونون.

على كل ناعق تجتمعون وله تسمعون باسم عباد الله الرحامين، على الله دالين، وعلى الله لكم في أنفسكم جامعين، فعلى الشياطين تجتمعون، يجمعونكم على أنفسكم ضالين مبلسين، بما في أنفسهم من سريان للشيطان فيكم، عليهم يجتمعون على معانيهم لمعانيكم قائمة بالبهتان في ظاهر من وهم تلتئمون، شياطين إنسان، دونكم شياطين الجان، إنكم بجمعكم شياطين الناس، إنكم شياطين الإنسان الدجال، كلكم المسيح الدجال، إنكم فتنة الرحمن لأدعياء الإيمان حتى يحكم الناس على أنفسهم بالظلام والظلم والبهتان يوم يعرفونهم ويرونهم المبلسين، يوم يكشف الله لهم عن سرائرهم، {يوم تبلى السرائر} فما له من قوة ولا ناصر {٤١}.

تعالى الله عما يصفه به جاهلوه، وتداني الله وعرف الله، بما قام به من أوصافه عارفوه، الله.. لجاهليته، كما هو لعارفيه، الكل فيه، ولكن يختلف ظهوره بعارفيه، عن ظهوره بجاهليته. ظهوره بعارفيه، لقائه لباقيه، ولكن ظهوره بجاهليته، إنما هو فتنة لمفتونيه، عند المترددين فيه.

إن الله لكل ما افتقروا إليه، {يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد} ٤٢. لو أن الشياطين فيه، اختاروا لهم أرباباً فيه، لعين معانيهم به، لهداهم الله، لكشف لهم عن الحق بمعناه، يوم

تَنَزَّلُوا أو تَنَازَلُوا بوجه قِيَامِهِمْ بِأُولِيَّتِهِ لِمَعْنَاهُ فِي أُولِيَّتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ لِمَعْنَاهُ وَمَبْنَاهُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَوْلَى، مِنْ مَوْلَى فِي مَطْلَقِ اللَّهِ.

(العظمة إزاري والكبرياء ردائي من شاركني في شيءٍ منهما قصمته ولا أبالي)^{٤٣}. من المتحدث بهذا؟ هل هو المطلق الغني عن العالمين؟ أم أنه الإنسان في كبريائه؟ أم أنه الإنسان في عظمته، في تعظيمه لنفسه؟ إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فإذا عرف العزيز بالله، أن لرسول الله عزة هي من عزته أكبر، تنقت عزته من الخدعة، وما استعملها إلا في الرحمة، (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^{٤٤}، وعرف رسول الله، بوصفه الرجل الثاني في الله، أن لا يندع نفسه بعزته، فهو دون عزة إنسان من مثاله، ورفيق أعلى بحاله، جعل الله له عزة، فكان عليه ربّ العزة، عرف عزته من عزته، ولم يتناول بعزته إلى عزته، فماذا فعل رب العزة بعزته على ما عرف رسول رحمة؟ عَرَفَ أَنَّهُ {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة} ^{٤٥}، فكيف يؤاخذ محمد، وهو ربّ عزة، لرب عزة، كيف يؤاخذ الناس بظلمهم؟ فيقول الرسول، أمة مذنبه ورب غفور، أنا لا أوأخذ أحدا بظلمه. إني أصبر حتى يفيق من غفلته، ويستيقظ لما جئت به، عسى أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله، فيصلح الله به أمورهم.

هذا هو رسول الله في عزته، وهكذا يكون عباد الرحمن في عزتهم، وهم يمشون على الأرض هونا، وهكذا يكون رب العزة، يوم نعتقد في رب العزة، مع رب للعزة نحن أرباب للعزة وعباد له.

إن إبليس ما خرج عن ناموس الله، وما خرج عن مراد الله، وما خالف قدرة الله، أو خاصم قدرة الله {فبعزتكم لأغوينهم أجمعين} ^{٤٦}.. إلا عبادي.. {إلا عبادك منهم المخلصين} ^{٤٧} {هذا صراط عليّ مستقيم} ^{٤٨}.

إنها طريق وأمة، وحق وحقيقة، الشيطان {يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير} ^{٤٩}، إنها طريق العزة، إنها قائم العزة، إنها خدعة العزة عن قائم الوحدانية. إذا كان الله قد عطل فيه عزته، فن هذا الذي يستعمل من الله له عزته، إلا مخدوعا أو ظالما لنفسه؟ إن استعمال العزة، مقتضي وجود المعتر عليه في حال من المغيرة مع العزيز. وهذا غير جائز في حق الله، ولا في حق الإنسان الكامل، ولكن العزة عند المؤمن بالله ورسوله لقائم نفسه بهما إنما هي في اعتزازه بجانب الحق فيه، على جانب الخلق فيه، بجلباب الشبح لبله بحقه.

يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير، ويتبعون كل شيطان مريد، وقد جعل الله الكفر بالشيطان أول أبواب الإيمان بالرحمن، وأول لقاء بين قائم الحق به لقائم الباطل تجاهه لشهوده، إيماننا

بحقي وجوده، {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}، {إن كيد الشيطان كان ضعيفا}، إن الضعف نقيض القدرة، والقدرة غير العزة، فالشيطان عزيز النفس على ضعفه.

اللهم بنا لك أوجدت فارحمنا، وبحقنا منك فحققنا، وعلى ظلامنا فانصرنا، وعلى طغياننا فولنا، وبعزتك فينا لا تخدعنا، وعن حقك لا تمنعنا، اللهم باعد بيننا وبين خدعة النور، وخدعة الظلام، وخدعة أنفسنا، اللهم اجعل وجهتنا فيك خالصة لك لا تشوبها فيك شائبة، في متابعة من جعلته لك كذلك وأظهرته لنا قدوة بذلك، اللهم فيه فأدخلنا، وبه فأقننا، ومنه فأوجدنا وبكثرتنا فكثرتنا، وبانتشاره فأنشرتنا، وبحقائقه لنا فيه، فاعرج بنا، منك إليك، من خلاله، وفي قيامه، أحد حقك لنا، لآحاد حقائقنا لأحده، لا شريك لك منه، ولا غيبة لك عنه، نور وجهك وطلعة جلالك، وبهجة جمالك، وقرب حالك، ومآل خلقك لك، لعين أمرك وحالك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم به لك، فوفقنا، وسدد خطانا، ويسر أمورنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، بغفلتنا وجهلنا، وولِ أمورنا خيارنا برحمتك بنا، وعنايتك برسول الله تشملنا، وتولنا في أمرنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، بمن جعلته رحمة للعالمين، يا أرحم الراحمين ارحمنا يا أرحم الراحمين ارحمنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.
- ٢ سورة الإسراء - ١١٠
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ سورة النجم - ٣٩
- ٥ سورة الزلزلة - ٧-٨
- ٦ سورة العنكبوت - ٦
- ٧ سورة الصافات - ٩٦
- ٨ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٩ سورة البلد - ٢:١
- ١٠ سورة الأنعام - ١١٢
- ١١ سورة الرعد - ٣١
- ١٢ سورة آل عمران - ٦٠

سورة فصلت - ٣٤	١٣
سورة العنكبوت - ٤٦	١٤
سورة الأحزاب - ٦	١٥
استلهاما من آية الإنجيل "احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب." (مت ١١: ٢٩)	١٦
سورة الإنسان - ٢٠	١٧
سورة آل عمران - ٢٦	١٨
من الحديث الشريف: "اللَّهُمَّ أَحْيِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، واحشُرني في زُمرَةِ المساكينِ يومَ القيامةِ، فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، يا عائشة، لا تردِّي المسكين ولو بشقِّ تمرِّ، يا عائشة، أحْيِي المساكينَ، وقَرِّبهم؛ فإنَّ اللهَ يقربُك يومَ القيامةِ." صحيح الترمذي.	١٩
سورة المزمل - ٧	٢٠
سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩	٢١
سورة المزمل - ٦	٢٢
سورة طه - ٣-١	٢٣
سورة الأعلى - ٩:١١	٢٤
سورة الكهف - ٢٦	٢٥
سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩	٢٦
سورة طه - ١٢٦	٢٧
سورة طه - ١٢٥	٢٨
سورة البقرة - ٥٧	٢٩
سورة الإسراء - ١٥	٣٠
سورة هود - ١٠٨	٣١
من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: " يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." صحيح مسلم.	٣٢
من حكم السيد ابن عطاء الله السكندري. "معصية أورثت ذلا وافتقارا خيرٌ من طاعة أورثت عزا واستكبارا."	٣٣
سورة الزمر - ٥٣	٣٤
سورة آل عمران - ٣٤	٣٥
سورة التوبة - ٦	٣٦
سورة الفرقان - ٥٩	٣٧

حديث شريف. "المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.	٣٨
نفس الملحوظة السابقة	٣٩
سورة الحجر - ٩٩	٤٠
سورة الطارق - ٩-١٠	٤١
سورة فاطر - ١٥	٤٢
حديث قدسي: "الكبرياء رداي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، قذفته في النار." صحيح مسلم، أخرجه أحمد وأبو داود.	٤٣
من حديث شريف: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود، والترمذي.	٤٤
سورة النحل - ٦١	٤٥
سورة ص - ٨٢	٤٦
سورة الحجر - ٤٠	٤٧
سورة الحجر - ٤١	٤٨
سورة فاطر - ٦	٤٩
سورة البقرة - ٢٥٦	٥٠
سورة النساء - ٧٦	٥١